اتجاهات حديثة
في التفكير الغربي

بقلم : الاستاذ صلاح الدين شوقي

غريبة تلك التي تجري على مسرح الفكر الغربي **ظاهرة** والتي يشاهدها المطلعون على الفلسفة الحديثة فان هذه الفلسفة قد اتكأت على ذراع العلم وبدأت تتأثر بتطور هذا الاخير ثم انها ترنو نحو الدين ونحو اعتبار اساليبه القيم الحقيقية في فن الحياة .

وانك لتجد الآن افكاراً علمية تجري على ألسنة الفلاسفة وعلى اقلامهم . فالابحاث الذرية اصبحت معين لا ينضب للافكار الفلسفية الصرفة ولعل خير مثال لذلك هو مذهب الذرة المنطقي لبرتواند رسل ومذهب الامكان الصرف . كما ان مبدأ الابعاد الاربعة (الكونتم) لانيشتين قد ادى بالفيلسوف الانجليزي صمويل الكساندر الى اعتبار الحقيقة هي هذا الكون الزماني المكاني المتجهة في حركته نحو الالوهية . كما ان ادنفتون من جهة اخرى ورسل وغيرهم من العلماء قد اتجهوا اتجاهاً رمزيا صوفيا في وصفهم العلم بأنه مجرد رموز يمكن استعمالها كواسطة فقط لتفسير العالم .

هذا من جهة العلم اما من جهة الدين فان هناك من يقرر بأن العودة الى حياة الايمان واحياء تعاليم الدين اوشكت ان تبدأ ولكنها في هذه المرة لن تحقق في حلقات الجهل التي تغذيها التعاليم الكهنوتية بسذاجتها وخمول الادراك فيها ولكنها سوف تحقق عند العلماء والمحققين من الرجال .

لقد كنا قبلا نسمع من يقول بحماسة — ان بقاء الأصول الاعتيادية والعوالم الروحانية متعلق ببقاء الأوهام والاضاليل والجهالات وان العلم بقضائه الجهل سوف يمحي على هذه الآثار — وكان غريباً علينا ان نسمع الآن هواتيهد يحاول أن يعطي القيم الاخلاقية والدينية مكانة سامية وكذلك فعل البروفسور جود في كتابه (فلسفة لعصرنا) .

وقد قرأنا في مقالة اخيرة الى العلامة تروبلد تحت عنوان:

اغرك مني ان حبك قاتلي وانك منها تأمري القلب يفعل

في قولك « ومالك ليلى تعرضين مصيخة .. الخ » ؟ !!

هذا شيء يأباه الضمير الادبي الحر ولا يرضاه . ثم حدثيني عن هذه السفسطة في قولك :

وتمرح في خفض من العيش مثلما تسرح في غاباتها الاسد الورد

متى كانت المرأة كالأسد ؟ اللهم اشهد على هذا .

وسفسطة اخرى — مني — ارجو إن لا تضيرك وهي اني ارى قولك :

دعى الله عيشاً فيه سحر وفتنة كساه الصبا ثوبا رقيقا متمتما

خطأ لا احسبه خفي عليك ذلك لأن علم الاقتصاد — كما تعلمين — يحدد الوقت فيقول انه ثوب للعمل ، والعيش هو زمن ، وعهد الصبا أو الصبا زمن ايضا ، فكيف يكسو الزمن زمناً ؟ !

ثم ألا ترين معي ان الضمير (نا) في غير محله عند قولك (ظننت بنا سوءاً وانكرت حبنا) لأن موقف قيس هو موقف تضرع وتذلل وليس بموقف تعاظم وتكبر ، و (نا) ميزة العظمة للفرد . وأنا لا افهم قولك (بقلب وعقل جامد متفكك) فاما أن تعود (جامد) على (قلب) وتعود (متفكك) على عقل وهذا خطأ ، اذ كيف يكون الحب في قلب جامد ؟ واما أن تكون كل من (جامد ومتفكك) تعود على (عقل) وهذا خطأ ايضا إذ أن جمود المادة يستدعي تماسك اجزائها . واريد ان استفسر ، لِمَ رفعت كلة (سيد) في قولك :

ألا مرحباً بالضيف قيس بن عامر وسيد فتيان الحمى الجوهر الفرد؟

أو ليست كلة [سيد] بدلا من [قيس] المجرورة ؟ وبعد فهذه خطرات بقر صاحبها بانها عابرة وليست اهلا للاعتداد بها طالما وان كاتبها في الخامس الادبي ، وهو إذ يبعث هذا الكتيب الى استاذة ربما كانت بمثابة كبرى اخواته ليبعثه مشفوعة بتحية خالصة مخلصة شاكراً لها صنيعها آملا أن تكون استاذته زعيمة من زعيمات النهضة الادبية لها كيانها وشخصيتها واسلوبها فيفخر العراق ببنت من أبر ابنائها ، راجياً ان ينال كتابه هذا عندها حسن القبول والسلام .

كربلاء

محمد جواد رضا

ـــالحاجة الملحة الى الايمان ـــ قوله : ان اهم المسائل في عصرنا الحاضر هي المسألة الروحية وما يتعلق بها من الاصول الاعتقادية فما لم تحل فان المدنية قد قضي عليها بالاخفاق والانهيار ثم نطالع ما يكتبه الاستاذ لويسي ويردده الدكتور جاكس في كتابه ثورة ضد الميكانكية ـــ الايمان الديني ليس الا محاولة العقل للتخلص من اطار العالم الميكانيكي ـــ وقد تنبأ الدكتور جاكس بكتابه السابق ان العقل سوف ينجح في محاولته .

وقد طالعنا البروفسور دولف بقوله ـــ ان انتقال عدد كبير من العلماء من المادية المتطرفة الى الروحية المتطرفة امر كان سريعا وفجائياً ـــ وسنحاول بعد هذا الكلام ان نبين خطوات هذا التحول واسبابه وآثاره . ولعل اكبر مظهر للصلة بين الفلسفة والعلم هو البحث الذري اذ ان الذرة التي تتكون منها المادة وهي موضوع جدال عميق بين الماديين والمثاليين قد اظهر العلم انها تنتهي عند التحليل النهائي الى شحنات أو موجات كهربائية يقول عنها الباحثون انها تكشف عن طبيعة لا يستطيع المرء ان يفرق بينها وبين الروح !

هذه النظرة ادت بفريق من الفلاسفة المعاصرين الى تجديد انكار وجود المادة الجوهري والرجوع الى المثالية ومنهم برتراند رسل وادنكتن وجرين ورويس وما كترت .

وقد احدثت هذه الفكرة كذلك مذهباً جديداً عرفته الفلسفة باسم مذهب التغير ومضمونه ان الكون في تغير مستمر وانه ليس مجموعة من الجواهر الثابتة الدائمة . وقد صاحبت هذه الحركة حركة احياء لفلسفة كانت المثالية المتعالية وهي الحركة التي تزعمها فنولبند وكرهتن في المانيا لتأسيس المدرسة الكانتية الجديدة . وفي رأيي ان بعض افكار نسبية انشتاين قد خدمت فكرة الشيء في ذاته (ويتبعها كيفيات ذلك الشيء) وقضت على القول بان التجربة الانسانية هي الفيصل في الحكم على صحة الحقائق .

فانيشتين يعتقد ان حقيقة الشيء قد تتغير في الوقت الذي يعتقد فيه الانسان انه قد قبض على هذه الحقيقة بكلتا يديه . وقد اظهر انيشتين فكرة (التواقيت) وهي تدل ان الحادثة التي تعتقد بأسبقيتها انت قد اعتقد بتأخرها انا وذلك لأني اضعها في قالب زمني غير الذي تضعها أنت فيه أي بعبارة كانتية ان الاحكام الادلية تعتمد على الذات . فلو فرضنا ان نملة صغيرة تدب على الارض وجدت ازاءها جدارين متقاطعين فهل ترى هذه النملة

تقاطعهما الجواب على ذلك بالنفي إذ ان النملة لا ترى هذا التقاطع إلا قوساً تمثله لها عينها وهي كذلك تعيش في عالم يتكون من بعدين فقط . وما يصح على النملة يصدق على الانسان إذ ان ظروفه المحيطة به لها تأثير في معرفته لحقائق الاشياء .

وقد قال انيشتين ايضا بحل قانون حفظ المادة واتى بنظام جديد اسماه قانون التعادل بين الطاقة والمادة . والسبب الآخر في هذا الاتجاه هو ظهور نظريات الاسبرتزم [مذهب الارواح (١)] والمباحث النفسية وقد استطاع عدد كبير من علماء الافرنج اثبات وجود الروح بالمباحث النفسية وبالأدلة التجريبية وقد اخذ الاعتقاد بهذه الابحاث يسود اكابر العلماء في المدة الاخيرة ومنهم الفيلسوف الشهير ويليام جيمس وفلامريون واراليفر لودج والدكتور ماكسويل ودر استغال الجائة الفيزيائي والاستاذ ريشية الافرنسي استاذ الفيزياء وفندلاي ودبليو طسن وزولز الفلكي الالماني والعلامة فيشز والبروفسور والترس . وفي الواقع ان امامنا الآن قائمة طويلة عريضة في اسماء العلماء المعتقدين في المباحث النفسية . ولكننا لا نود ان نطيل على القارئ . وقد بلغ في اهتمام العلم الحديث بهذه الابحاث ان انشأت له جامعة كمبردج كرسي استاذية وخصصت المبالغ الطائلة في اقامة دعامات العلم الروحي الحديث . وهناك عدد لا يستهان به من الجمعيات العلمية انشأت لبحث هذا الموضوع . وهناك سبب آخر لا يقل قوة وقوة عن الاسباب المتقدمة وهو ما احدثته المادية الميكانكية في ردفعل وهذه الفلسفة تحاول ان ترجع بحقائق الكون الى المادة وحركتها وتجعل في قوانين العلية مظهراً لصلة حوادث الكون وتريد ان تعطي علم الميكانيك المفتاح لتفسير كافة الصلات والروابط التي بين الاشياء . وقد رأينا كيف ثار الدكتور جاكس والاستاذ لويسي على هذا الضرب من الفلسفة ومن اشد المحاربين لهذه الفكرة الفيلسوف هنري برجسون والمفكر الالماني ارسولد اشبنكلر . ومما قاله برجسون كلمته المعروفة ـ ارجع الى الميكانيكية كل شيء ميكانيكي ثم ارجع الى الحياة ناحيتها الحيائية ـ وهناك في العالم المخروطي حركتان حركة تصاعدية نحو العقل وحركة تنازلية هي المادة . هذا جزء يسير من فلسفة برجسون التي يطلق

(١) وخلاصة هذا المذهب ان الارواح جواهر مجردة مستقلة عن الاجسام تقوم ببعض الفعاليات بعد انتقالها من عالم الجسم